من آيات الله

فى إرسال الرياح

قال تعالى فى سورة الروم: ﴿ **وَمِنْ آيَاته أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [الروم: ٤٦].

إن هذه الآية الكريمة تذكر الناس بما لله سبحانه وتعالى من نعم لا تحصى، يعيشون فيها ولا يكادون يلتفتون إليها. ولله سبحانه فى خليقته نعماً، تطالع الناس فى صباحهم ومسائهم، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم، منها المنظور، والمستور، والمعلوم، والمجهول، تفيض عليهم بآثارها الملموسة فى أنفسهم، وفى آفاقهم، بحيث تفوق العد، وتتطاول على الإحصاء.

وكثير من الناس يغفلون عن نعم الله، خاصة إذا كانت نعماً عامة شاملة تسع الناس جميعاً كالماء، والهواء، والنور، وغيرها. فهذه النعم إذا كانت حظاً مشاعاً فى الناس، لا يتكلفون لها ثمناً، بل تأتيهم عفواً صفواً بلا حساب. إذا كانت كذلك، فإنهم قل أن يلتفتوا إليها، وأن يعدوها نعمة من نعم الله عليهم.

إن الإنسان إنما ينظر إلى نفسه خاصة، ويلتفت إلى الأشياء التى تعنيه وحده، وتقع ليده دون غيره، ويكاد يستأثر بها، أو تلك التى يتمايز فيها، وتختلف حظوظهم منها، والتى هى مجال تنافس بينهم.

وفى قوله تعالى: ﴿ **ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته** ﴾ إشارة إلى هذه النعمة العظيمة، العامة الشاملة؛ وهى الرياح التى يرسلها الله مبشرات، تسوق بين يديها السحاب، الذى يحمل الحياة للناس والدواب، والأنعام، والأرض، بما ينزل منه من ماء، فهو الرحمة التى ينزلها الله على عباده، ويذيقهم منها طعوم فضله وإحسانه.

وفى عطف ﴿**ليذيقكم من رحمته**﴾ على مبشرات إشارة إلى أن البشرى التى تحملها الرياح للناس. فيها سعادة، ورضا، وتهيؤ لاستقبال هذا الخير الوافد.

وقوله تعالى فى الآية: ﴿**ولتجرى الفلك بأمره**﴾ آية أخرى من آيات الله فى هذه الرياح المرسله من عنده. إنها تدفع السفن على ظهر البحار والأنهار، وتسيرها حيث يريد الناس، وذلك بأمر الله وقدرته، ولو شاء لأمسك الريح، فظلت السفن رواكد على ظهر الماء، لا تتحرك إلى أى اتجاه. كما يقول سبحانه وتعالى فى سورة الشورى: ﴿**إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ**﴾ [الشورى: ٣٣].

وقوله تعالى فى الآية: ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ آية من آيات الله، فى هذه الرياح المرسلة، التى تدفع السفن إلى حيث يتجه بها الناس، فتحركها على ظهر الماء، وتحريك السفن هو فى ذاته آية تدل على قدرة القادر العظيم.

وما يحصله الذين يركبون هذه السفن من منافع، هو آية أخرى من آيات الله، فيما يجرى بين الناس من تبادل المنافع.

وقوله تعالى فى الآية: ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ هو آية أخرى من آيات الله فى هذه الرياح المرسلة من عنده، التى تحدث هذه الآثار العظيمة فى حياة الناس.

وهذه الآية الكريمة: ﴿**ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات**﴾. وهى تحريك ألسنة العباد، بحمد الله، والثناء عليه، وإقامة شعائره، على الولاء له، وافراده بالعبودية.

ولكن أكثر الناس لا يقيمون وجوههم إلى الله، ولا يذكرون له هذه النعم، وهذا هو السر فى تصدير الشكر بحرف الرجاء «لعل» الذى يفيد الدعوة إلى هذا الأمر المحجوب المطلوب، ولكن قليل هم أولئك الذين يقع لهم، أو منهم هذا الأمر.

وفى سورة الروم آيات أخرى تكشف عن آيات الله ودلائل قدرته فى حركة الرياح وما تثير من أمواج وبخار، وسحاب، وما ينزل من السحاب من ماء، وما يدخل منه على الناس من بشر وغبطة. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ**

سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٨، ٤٩]. فالرياح فى هذه الآية تثير سحاباً فيبسطه الله فى السماء كيف يشاء، ويجعله كسفاً أى قطعاً متراكمة، وسرعان ما يتفتق هذا السحاب عن وَدْقٍ أى مطر يدق الأرض، وينزل عليها آثاره.

إن الرياح فى قوله تعالى: ﴿**الله الذى يرسل الرياح..**﴾ هى التى أثارت السحاب وهى التى قبل أن تثيره، قد أثارت وجه البحار، وحركت أمواجها، وحملت ما على وجهها من أبخرة إلى السماء، فإذا هى ضباب وسحاب.

فآية الرياح التى أشارت إليها الآية ﴿**ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات**﴾ قد كشف عن وجهها فى قوله تعالى: ﴿**الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا**﴾ فكان هذا العطاء الجزيل من آيات الله.

وكان ذلك يشكل أروع أداة للدلالة على وجود الخالق، وقدرته، وضرورة الإيمان به والاعتراف بفضله، ووجوب التوجه إليه وحده، بما وجب من حقه فى الإجلال، وحتمية استشعار عظمته وسلطانه، وتعميق الخضوع له، والخشية منه، وتأكيد الحب فيه، والولاء له. وقال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٥٧].

الإنسان متلهف أبداً إلى رحمة الله من المطر، لتحيا أرضه، فيذكره رب العزة جل جلاله أنه هو الذى يرسل الرياح بشرى أمام المطر.

ولا شك أن عرض القرآن الكريم لهذه المشاهد، تؤدى إلى نقل الإنسان عن طريق التأمل والتفكر إلى الإيمان بالله، وبالكتاب وبالنبوة وبالبعث.

وعندما يتلقى الإنسان منهجه عن ربه، تتحدد علاقته بالكون من حوله، فيدرك أن كل ما فى الكون مسخر لخدمته ومصلحته، تمكيناً له فى الأرض.

* * *